الأهرام

المصدر : الاهـرام

التاريخ : ٦ يونيو ١٩٩٩

الانتصار في جزين: 8 رسائل ساخنة جدا

الانسحاب الذليل للميليشيات من أرض «الموت البطيء» أثار زوبعة في تل أبيب والتداعيات تصل إلى الجيش الإسرائيلي

يوم الخميس الماضي حملت التصريحات والتحليلات التي نشرتها الصحف الإسرائيلية ما يدفع إلى طرح التساؤل المفعم بالسخرية: هل كانت تل أبيب تتوقع أن يقوم «حزب الله» بذرف الدموع والتلويح بالمناديل لرجال ميليشيا لحد وهم ينسحبون من منطقة جزين؟

ذلك أن الحديث عن «مفاجأة» الحكومة الإسرائيلية بأن رجال الميليشيا انكفأوا على وقع نار المقاومة، حيث قتل منهم اثنان وجرح ثالث، أخذ حيزاً واسعاً في ردات الفعل الإسرائيلية إلى درجة أن رئيس الأركان السابق أمنون شاحاك والنائب حالياً من حزب «المركز» أعرب عن دهشته لأن سيناريو خروج الميليشيا على إيقاع قذائف «حزب الله» لم يؤخذ في الاعتبار «مع أن مثل هذا الأمر يفترض أن يكون بديهياً».

وفي حين جمع انطوان لحد رجاله في مدينة جزين استعداداً للخروج نهائياً من المنطقة وهو ما تم بحلول يوم الخميس الماضي، كانت حكومة بنيامين نتنياهو تتلقى سيلاً من الانتقادات غير المباشرة بسبب «الإذلال الذي رافق انسحاب الميليشيا». ومع أن الأمر هنا يثير الاستغراب كون الانسحاب يعني الهزيمة والهزيمة تعني الإذلال وما هو أكثر، فإن الحديث أو البحث عن «المفاخرة» مثلاً في مثل هذه الحال مسألة تدعو إلى الاستغراب.

لقد رأى اليكس فيشمان في «يديعوت أحرونوت»: «إن الانسحاب ارتدى فوراً حلة الاندحار (...) وان من يريد فعلاً أن يتخيل كيف يمكن أن يكون انسحاب من طرف واحد من لبنان، ليس عليه إلا أن يتأمل في الصورة الذليلة التي أعطتها ميليشيا لحد المنسحبة تحت وابل من قذائف المقاومة».

لكن من المؤكد تماماً الآن، أن «الانسحاب المذل» الذي أثار كل

هذه الانتقادات في تل أبيب، سيكون له أثره ليس على تماسك ميليشيا لحد داخل «الشريط الحدودي المحتل» فحسب، بل على الجيش الإسرائيلي نفسه.

وليس من المبالغة الافتراض أن تداعيات هذا الاندحار، وهذه الهزيمة ستصل بالفعل إلى الجنود الإسرائيليين الذين يتوقون بدورهم للخروج من جنوب لبنان، والذين باتوا يملكون «حلماً» يتراءى لهم من قرب بعد الوعد الذي قطعه إيهود باراك خلال الانتخابات بسحب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان في خلال سنة.

وإذا كان المعلق العسكري في صحيفة «هارتس» زئيف شيف قد التقط إسقاطات الانسحاب بما يعنيه من فشل سيكولوجي على الجيش الإسرائيلي الذي لم يؤمن تغطية دفاعية كافية للميليشيا المنسحبة، فإن عوزي لاندو رئيس لجنة الدفاع والشؤون الخارجية في الكنيست كان واضحاً أكثر في القول: «إن ما جرى في جزين ارتدى طابع الانتكاسة الإسرائيلية (...) لقد أعطينا الانطباع بأننا نتخلى عن لحد ورجاله الذين تعاونوا معنا مدة طويلة».

لقد تحول الانسحاب الذليل «كرة ثلج» تأخذ في التضخم داخل تل أبيب حيث هناك من يستعيد بعض التحليلات التي كانت قد أثيرت قبل شهور عدة، والتي يمكن اختصارها بما كتبته «هارتس» نهاية العام الماضي: «لقد أرسلنا الجيش إلى جنوب لبنان لحماية المستوطنات الشمالية وها نحن قد ننتهي بالحاجة إلى إنشاء مستوطنة لبنانية في داخل إسرائيل»!

فقد كان هذا الكلام مؤشراً مستغرباً في حينه، بمعنى أنه يطرح احتمالات اضطرار إسرائيل إلى استقبال رجال ميليشيا لحد وعائلاتهم عندما يخرج الجيش الإسرائيلي من الجنوب، أما الآن وبعد الوصول إلى حافة ساعة الاستحقاق فلم تعد هذه الاحتمالات تثير الاستغراب، وها هو جنرال الاحتياط يوسي بيليد أحد مستشاري باراك يقول صراحة يوم الأربعاء الماضي، «ان إسرائيل يجب أن تكون مستعدة لاستقبال الآلاف من جنود انطوان لحد وعائلاتهم، الذين سيبحثون عن ملجأ بعد الانسحاب الإسرائيلي.

إن هذه التعليقات التي عكست شعوراً ضمنياً كبيراً بالهزيمة والخوف من انهيار كامل لميليشيا لحد داخل الشريط يمكن أن ينعكس سلباً على سيكولوجيات الجيش الإسرائيلي، هي التي دفعت في النهاية أحد المحللين الإسرائيليين ليقدم تلخيصاً جيداً للوضع حيث يقول: «إن انسحاب ميليشيا لحد سيظهر في خلال شهور قليلة كنقطة مركزية في تاريخ الوجود الإسرائيلي في لبنان (...) وان ما أشيع حول نية لحد الاستقالة، والخوف في صفوف رجاله من نية باراك الانسحاب من الجنوب سيشكلان كرة ثلج لا تنتهي بانهيار ميليشيا لحد بل تطاول الجيش الإسرائيلي أيضاً».

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وهكذا وفي ظل دوي الاحاسيس المتزايدة بمهانة الانسحاب من جزين، خرج نتنياهو من الظل حيث كان يتوارى في الاحتجاب والاكتئاب ليعقد تلك الجلسة «العاجلة جداً» لأجهزته الأمنية التي انضم إليها وعلى عجل، موشي أرينز وأرييل شارون وناتان شارانسكي وافيغدور كهلاني والتي انتهت بتقديم التغطية الجوية للانسحاب (قام الطيران الإسرائيلي يوم الأربعاء الماضي بثماني غارات على مواقع «حزب الله» في الجنوب والبقاع) وبقرع طبول التهديدات، حيث

تحدثت القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي عن حال تاهب عسكرية للتصعيد عكسته تصريحات أرينز: «إذا تلقت ميليشيا لحد ضربة قوية أخرى فإن إسرائيل سترد بشكل واسع وبكل الوسائل».

لكن انطوان لحد كان قد قدم بداية الأسبوع وقبيل بدء الانسحاب صورة جلية عن معالم الهزيمة التي أصابته شخصياً ولحقت برجاله، عندما تحدث عن ذلك الوضع في جزين الذي «لم يعد يحتمل الموت البطيء». وعن مطالبة الأهالي هناك المتزايدة بخروج الميليشيا، وهذا يسقط تماماً كل النظريات التي قيلت عن حماية الميليشيا لأهالي المنطقة.

لقد قدم لحد صورة اليأس الكامل والهزيمة المدوية لرجل يجعل من تمنياته وقائع ويصدقها حيث قال في مؤتمر صحافي «إن وعد باراك بالانسحاب هو مجرد دعاية انتخابية»(!) لكن إذا كان «القائد» منهاراً ومحبطاً إلى هذه الدرجة فكيف الأمر بالنسبة إلى جنوده؟

«إن قرار استقالتي عائد إليّ مثل قرار الخروج من جزين ولا أدري لماذا أثاره الإعلام اللبناني والإسرائيلي في وقت واحد. أمامي الآن قضية تبلور مسألة جزين، وبعدها أعود إلى نفسي واتخذ قراري بعد استشارة الشعب الحدودي (لاحظ مدى الغيبوبة الواعية في هذه التسمية). ولا شك ان بعض الإسرائيليين لهم مصلحة في رحيلي من هنا، ولن أذكر ما هي هذه المصلحة (طبعاً المقصود باراك والمطالبين بالانسحاب) وكذلك اللبنانيون يرغبون في ذلك..».

إنها كلمات الهزيمة واليأس، التي كانت بمثابة تأكيد الانسحاب حيث عادت منطقة جزين إلى كنف السيادة اللبنانية وحيث يمكن حتى الآن قراءة مجموعة واسعة من الرسائل التي حملها «البريد الجزيني» في اتجاهات كثيرة وهي:

أولاً: إن الانسحاب هو أول هزيمة محققة وناجزة ضد إسرائيل وعملائها منذ بداية الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وهي أول أرض عربية محتلة تنسحب منها نتيجة أعمال المقاومة.

ثانياً: إن هذا الانتصار الكبير يحتاج إلى دراية واسعة وحنكة ووعي من الجميع في لبنان بحيث تقطع الطريق على محاولات إسرائيل الأكيدة لتشويه صورته، عبر تحويله منطلقاً للفتن والمشاكل كما حصل في «حرب الجبل» عام 1982 وفي شرق صيدا عام 1985.

ثالثاً: لقد أكد لبنان موقفه الحازم حيال الانسحاب، فالجيش لن يرسل إلى منطقة جزين بما قد يشكل استجابة تلقائية غير متفق عليها لمطالب إسرائيل بترتيبات أو ضمانات. ولبنان تمسك بدعم المقاومة حتى تحرير كل شبر من أرض الجنوب، أما مسؤولية إدارة المناطق المحررة والعناية بها فتعرف الدولة تماماً كيف تقوم بها وهي تقوم بها الآن وفي طريقة تتزايد يوماً بعد يوم.

رابعاً: لقد أعلنت المقاومة و«حزب الله» موقفهما صراحة وعبر تأكيدات متلاحقة، فالمناطق التي تحررت باتت خاضعة للسلطة الشرعية اللبنانية وسيادة القانون اللبناني الذي يقول كلمته حيال المتعاملين مع لحد الذين قرروا البقاء محتكمين إلى القانون وقد اذاعوا بياناً بهذا... أما المناطق المحتلة فقد أكدت المقاومة وعبر الذخيرة الحية أنها مستمرة في مقاومة العدو الإسرائيلي حتى تحريرها.

خامساً: لقد أكدت سوريا عبر تصريحات وزير خارجيتها فاروق الشرع اثر محادثاته مع الرئيس إميل لحود، ان الانسحاب من جزين لن يضع حداً لعمليات المقاومة، ولن يؤثر على تلازم المسارين اللبناني والسوري في عملية السلام.

سادساً: لقد حاولت إسرائيل أن تجعل من الانسحاب من جزين «حالاً اختبارية» وقد أعلنت ذلك صراحة، ولكن نتائج هذا الاختبار لم تكن كما تشتهي، كما أن باراك الذي وافق على الانسحاب اعتبر أنه يشكل دفعة أولى من حساب وعده بتحقيق الانسحاب الكامل في خلال سنة وهو حساب بات مستحقاً بعد فوزه في الانتخابات.

سابعاً: إن محاولة إسرائيل جعل «جزين أولاً» مدخلاً إلى انسحابات متلاحقة بحيث ينتهي الأمر بالخروج من الجنوب والفصل بين المسارين اللبناني ـ والسوري، مسألة اصطدمت بواقع يؤكد نهائية التلازم، أما إذا أرادت إسرائيل الانسحاب دون قيد أو شرط فليس هناك من يقف في وجهها.

ثامناً: لقد عادت «عروس الشلال» (أي جزين) إلى سيادة لبنان ولكن في حلة أولى عرائس التحرير، ولبنان يملك لها احتضاناً كبيراً وإن كان يعطيها الاهتمام بالتقسيط ربما كي لا يزعم العدو غداً أن بيروت استجابت لمطالبته بترتيبات أو ضمانات.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية